عقائد وآثار

أهمية العقيدة وأثرها على صلاح الفرد وا لمجتمع

ابراهيم شهبندري

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :-

إن العقيدة هي أساس الدين وقوامه، وقاعدة الملة، وزبدة الرسالة، وهو أعظم الحقوق وأوجب الواجبات، وأساس قبول وصحة الطاعات

لا يستقيم بناءٌ على غير أساس، ولا فرعٌ على غير أصل، والأصل والأساس لهذا الدين هو العقيدة. وإن إيمان العبدِ لا يقبل عند الله -عزَّ وجلَّ- إلَّا إذا كانت عقيدته سليمة، ودليل ذلك قول الله -تعالى-: (وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

هي أساس دعوة جميع الأنبياء والرسل، قال الله تعالى -: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)، فهذه الآية تبيِّن أنَّ الأنبياء جاؤوا بذات العقيدة. إنَّ التزام المسلم بالعقيدةِ الإسلامية إنَّما هي تطبيقٌ لأمرِ الله -عزَّ وجلَّ- حيث قال الله -تعالى-: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا). إنَّ العقيدةُ تعدُّ أساس وجود البشر، والحكمةُ من وجودهم في هذه الدنيا، قال الله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وتطبيقها هي المهمة الكبرى والعظمى التي يجب على المسلم تحقيقها في هذه الدنيا.

يقول ابن القيم -رحمة الله- عن

كلمة التوحيد: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، وأبرار وفجار، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام".

إن للعقيدة فضائل وآثارًا على الفرد والمجتمع؛ فمن ذلك:

تحرير الإنسان؛ لإن الشرك بكل صوره ومظاهره ما هو إلا امتهان للإنسان، إذ يلزمه العبودية والخضوع والتذلل لمخلوقات، ولا تملك ضرًّا ولا نفعًا، ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

أما التوحيد ففيه تحرير الإنسان من كل عبودية إلا لربه الذي يستحق أن يعبده وحده، وتحرير لعقله من الخرافات والأوهام، وتحرير لضميره من الخضوع والذل والاستسلام، وتحرير لحياته من تسلط الأرباب والمتألهين على عباد الله.

ولهذا قاوم زعماء الشرك والجاهلية دعوات الأنبياء عامة، ودعوة الرسول خاصة للتوحيد؛ لأنهم كانوا يعلمون أن معنى "لا إله إلا الله": هو تحرير البشر من العبودية لغير الله، فلا تطأطئ الوجوه ساجدة إلا لله رب العالمين.

ومن ذلك: تكوين الشخصية المتزنة؛ فهو يعين على تكوين الشخصية المتزنة التي تتميز برؤيتها السليمة، وبأهدافها السامية، وغايتها النبيلة، فتنطلق في وجهتها الصحيحة؛ فليس لها إلا إله واحد تتجه إليه في الخلوة والجلوة، وتدعوه وحده في السراء والضراء، وتعمل على ما يرضيه.

إن الأمة التي تحكمها عقيدة التوحيد، وتضبط حياتها حقائق الإيمان ومقوماته، أمةٌ ذات قوة ذاتية وحصانة طبيعية، تجعلها قادرةً بإذن الله على

التغلب على نتائج المحن، وآثار الأزمات، وموجات الفتن.

ولا غرو، فهي أمة مرّ بها ويمر بها عبر تأريخها الطويل أيام عصيبة ونكبات شتى، لو أصابت أمةً غيرها لقضت عليها، وأبادتها وجعلتها أثراً بعد عين، لكنها أمة رباها محمد بأمي وأمي هو صلوات ربي وسلامه عليه ، مرتبطة بربها، واثقة بوعده، مستيقنة بنصره، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥][٧].

إن هذه العقيدة جعلت من الصحابة رضي الله عنهم جبالًا فوق الجبال، وبحارًا فوق البحار، لا يخشون الموت حالهم: "احرص على الموت تُوهَب لك الحياة"، وحالهم كما قال خالد بن الوليد رضي الله عنه لهرمز: "فقد جئتُكَ بقومٍ يُحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة".

وأما عن الواقع التطبيقي لهذا المبدأ فقد لا تجد قصة أعظم وأثبت من ثبات الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه:

"كان بلال مملوكًا لأمية بن خلف الجمحي القرشي، فكان يجعل في عنقه حبلًا، ويدفعه إلى الصبيان يلعبون به، ويُعذَّب وهو يقول: أَحَدٌ، أَحَد، لم يشغله ما هو فيه عن توحيد الله، وكان أمية يخرج في وقت الظهيرة في الرمضاء – وهي الرمل الشديد الحرارة التي لو وُضِعَتْ عليها قطعة من اللحم لنضجت – ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضَع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبُد اللات والعُزَّى، فيقول: أَحَدٌ، أَحَد.

أولَئِكَ آبائي فَجِئني بِمِثلِهِم
إِذا جَمَعَتنا يا جَريرُ المَجامِعُ

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. ***